

[٢٢] الأصالة

المفهوم: أن مفهوم الأصالة يتميز عن غيره من المفاهيم بأنه يقفز بشكل خاص ليؤكد أهمية ذات قدر كبير في بحوث الابتكار. وهي الأهمية التي يعترف بها كل المشتغلين في هذا الميدان أمثال جيلفورد Guilford، وتورانس Torrance، وبارون Barron، وغيرهم.

يضع كل من جيلفورد Guilford (١٩٦٢) وبارون Barron (١٩٦٣) محكين أسسيتين للحكم على لفكرة الأصيلة Original Idea وهما: الجدة Novelty، والمناسبة Suitability. ويعرفا لفكرة الأصيلة بأنها الفكرة الجديدة New Idea، أي الفكرة التي لم توجد من قبل. ولكن من الصعوبة بمكان أن نأخذ بهذا التعريف كمدخل علمي لدراسة الأصالة لسببين حددهما جيلفورد:

أولاً: من الصعب من الناحية العملية للتأكد من تحقق شرط الجدة لأن هذا يتطلب شرطاً مستحيلاً وهو فحص جميع الأفكار في أذهان كل الناس لنحكم ب ورود الأفكار الجديدة أو عدم ورودها على للذهن البشري من قبل، وخاصة أن المتتبع لتاريخ العلم مثلاً يلاحظ أنه ليس من النادر أن نجد عالمن ينتجان نفس لفكرة الجديدة على الرغم من البعد المكاني بينهما والذي قد يبلغ آلاف الأميال. ولكن أحدهما قد يسبق الآخر بفترات قصيرة شهوراً أو أسابيع أو ربما ساعات دون أن نقول بأن الآخر لا يعتبر أصيلاً لمجرد أنه تأخر في استحداث أفكاره.

ثانياً: نجد أن هذا المعنى للجدة يتضمن كثيراً من المظاهر في مفهوم الأصالة دون تبرير، ودون أن ينطبق عليها المعنى العميق للمفهوم. فعلى أساس هذا المعنى يمكن أن نعتبر كثيراً من الهلوس والأحلام جديدة لمجرد أنها لم تطرأ على ذهن أحد من قبل.

ولكن هذا المعنى لا يفيد من الناحية العملية لأنه لا يعطينا أساساً واضحاً للتمييز بين من هم أكثر أصالة أو أقل أصالة، لذلك نجد بارون Barron (١٩٦٣) يوضح منذ البداية عدم كفاية الأخذ بمفهوم الجدة وحده، لأن الأصالة كما يرى بارون يجب أن تعرف من حيث الحدوث، وهذا هو أول محك للأصالة، أن تتميز بدرجة عالية من عدم الشبوع في داخل المجموعة للخاصة التي نبحثها. ونحن هناك محكاً آخر يجب أن يتوافر للحكم بالأصالة أو الجدة، وهو أن تتفق الاستجابة الأصيلة مع الواقع، أي أن تكون استجابة تكيفية، والغرض من هذا المحك استبعاد الاستجابات غير الشائعة، التي تقف عند مستوى العشوائية أو الجهد أو التوهم.

وعلى الرغم من أن جيلفورد لا يعتبر أول من ابتكر مفهوم الأصالة، إلا أنه يعتبر أول من أعطاهام مكانها في بناء العقل بناء على بحوثه وبحوث تلاميذه في التحليل العملي. لذا يطراً علينا السؤال التالي ما هو موقع مفهوم الأصالة في هذا البناء الذي وضعه جيلفورد؟

نجد بدلية أن جيلفورد يفترض أن بناء العقل يمكن تناوله من خلال ثلاثة عوامل رئيسية، وأن مفهوم الأصالة يقع تحت العامل الثالث أو المستوى الثالث في بناء العقل، ونجد أن هناك نوعين من القدرات متضمنة في هذا العامل هما:

- لتقدرات الإنتاجية التقاربية Convergent productivity abilities
- لتقدرات الإنتاجية للتباعدية Divergent productivity abilities

ويقصد بالتفكير التقاربي Convergent Thinking إلى نوع للتفكير الذي ينتهي بإجابة واحدة صحيحة كما هو في التفكير الاستدلالي، أما التفكير التباعدي divergent thinking فهو التفكير الذي يمضي في اتجاهات متعددة نون أن تكون هناك إجابة واحدة صحيحة، ولكي توجد إجابة أكثر تكيفاً للموقف وأكثر ابتكاراً وعموماً فهذا هو لتفكير الإبداعي بأوسع معانيه.

وبالرغم من أن رأى Ray (١٩٦٨: ٢٧) يرى أن التفكير التباعدي divergent thinking هو الأصالة، إلا أننا نميل هنا إلى تبني وجهة نظر جيلفورد من حيث أن الأصالة سمة تحتل موقعا في بناء أكثر شمولاً وهو لحد وأقل شمولاً وهو التفكير التباعدي؛ وعلى هذا فإن ما يشير إليه رأى Ray بأنه أصالة هو في الحقيقة العملية الكلية للنشاط العقلي المسمى بالإبداع، والذي تحتل فيه الأصالة جزءاً من أجزائه. وسبب تبنينا لوجهة نظر جيلفورد هو أن العلم اليوم يتجه في تطوره إلى مزيد من التمييز discrimination ولأن هذا التمييز هو ما يساعدنا على فهم الظواهر السلوكية.

ويشير جيلفورد إلى أن للتفكير التباعدي هو التفكير الذي يظهر في المجالات التي لا تتطلب إجابة واحدة صحيحة. وقد بينت التحليلات الإحصائية التي قام بها جيلفورد وتلاميذه أن هذا العامل (التفكير التباعدي) يحتوى على أربعة عوامل فرعية من بينها عامل الأصالة ويقوم هذا العامل على أساس الافتراض بأن للشخص لمبدع ذو تفكير أصيل، أي أنه لا يكرر أفكار المحيطين به. فتكون الأفكار التي يولدها جديدة بالنسبة له، وربما بالنسبة للإطار الثقافي العام. وهناك احتمال في أن يكون عامل الأصالة عاملاً مناجياً temperament أو دافعياً motive عندما يشير إلى اتجاه عام لعدم الامتثال، أو تجنّب تكرار ما يفعله الآخرون.

وقد تبين لنا ما يلي:

- (١) أن الأصالة هي أحد الأبعاد الرئيسية للابتكار ضمن عدد آخر من الأبعاد هي: الطلاقة Fluency والمرونة Flexibility والحساسية للمشكلات Problems sensitivity.
- (٢) لا تقف الأصالة عند كمية الأفكار المبتكرة creative ideas التي يعطيها الشخص، بل تقف عند نوعية هذه الأفكار من حيث الجودة وعدم الشبوع Uncommonness والنفور من الامتثال.
- (٣) أن توفر قدر كبير من الأصالة يشير إلى توفر قدر مساوي من النفور من تكرار ما يفعله الآخرون، وهذا ما يميزها عن المرونة التي تقف عند النفور من تكرار الشخص لذاته سواء أفكاره أو أفعاله، فيفكر كشخص في أكثر من إطار.

وبالرغم من شك جيلفورد Guilford (١٩٦٢: ١٠٩-١١٠) في أن الأصالة ما هي إلا مرونة تكيفية Adaptive Flexibility عندما تكون الملمة لفظية Verbal، بينما تكون المرونة للتكيفية قصيرة على المولد غير اللفظية nonverbal، فإن هذا الشك تقف إزاءه عدة اعتبارات أهمها:

- (١) إنه ليس بالضرورة أن تكون مادة المرونة للتكيفية مادة غير لفظية ويمكننا أن ننكر كمثال على هذا مقياس للتصلب التي تعتمد على الأنغاز الحسائية، فالتجاح في هذه المقاييس للفظية يعبر عن المرونة للتكيفية أكثر من المرونة للتلقائية دون أن تكون المادة المستخدمة غير لفظية، ودون أن تتحدث عن الأصالة بالمعنى الشائع.
- (٢) أن الأصالة يمكن قياسها بمواد غير لفظية والأمثلة على ذلك مقياس تورانس للتفكير الابتكاري Torrance's Figural Creativity Thinking Tests حيث كل تورانس يعبر عن الأصالة بمواد غير لفظية وكان يحصل على درجتين أحدهما للأصالة والأخرى للمرونة.

إذا فإذن الأصالة نفور من تكرار ما يفعله الآخرون أو يفكرون فيه، وأن المرونة بأنواعها المختلفة قاصرة على النفور من تكرار للشخص ذاته: أفكاره أو أفعاله. أما الحساسية للمشكلات بما تحتويه من عناصر عقلية تقويمية evaluative mental elements قد تكون شرطاً من شروط التفكير الأصلي original thinking.

ويشير تورانس (١٩٦٦) إلى أن الأصالة هي القدرة على إنتاج أفكار جديدة فريدة أو نادرة أو غريبة، ومع ذلك فهي أفكار مقبولة ومعقولة. وتعتبر الأصالة من أبرز القدرات الابتكارية التي يتفق علماء النفس على أهميتها للنبوغ في جميع المجالات، كما أن الأصالة ليست قدرة ذهنية، ولكنها سمة مزاجية تدل على استعداد عام، لأن يكون للشخص مجدداً أو ميالاً إلى النفور من تكرار ما يفعله الآخرون، ويتفق هذا التعريف مع ما ذهب إليه جيلفورد.

وبعيداً عن المعالجة لتعلمية لموضوع الأصالة والعوامل المرتبطة به، نجد كوبي Kubie (١٩٥٨) يضع تصيراً تحليلياً لمفهوم الأصالة، خاصة عند تناوله لمنطقة ما قبل الشعور Preconscious وهي المنطقة الواقعة بين الوعي Complete awareness ولللاوعي Unconscious وطبقاً لما قاله كوبي فإن الأفكار Ideas والمفاهيم Concepts تكون حرة ومنطقة من ارتباطاتها العديدة خاصة في منطقة ما قبل الشعور، وإذا فإذن الأفكار تستطيع أن تتطرق وتتحرر ثم تتحدد في طرق وأساليب غير معتادة أو مألوفة وجديدة بناء على الترابطات المتداخلة Overlapping linkages أو التشابهات المتعددة multiple analogic وبالتالي فإن المفاهيم والتخيلات المكونة في صورتها لتجديدة تكون أساس الأداء المبتكر creative performance لذا فإن الفرد الذي يتسم بالأصالة يستطيع أن يوظف مراحل أو طرق ما قبل الشعور بطريقة فعالة ومؤثرة.

ونجد بارون Barron (١٩٦٣) قد تكلم عن انتشار الأنا Ego diffusion التي قد تلعب دوراً كبيراً في عملية الإدراك التي تتميز بالابتكار creative perception.

وأيضاً كوستلر Koestler (١٩٦٤) قد أشار إلى ثنائية تجمع الأفكار bisociation of ideas، وهذه الفكرة قريبة إلى حد ما من مفهوم ما قبل الشعور ووظيفته التي أشار إليه كوبي (١٩٥٨).

لذا نجد أن كوبي Kubie يعرف الفرد الأصيل بأنه الفرد الذي في مقدوره أن يستخدم وظائف ما قبل الشعور بطلاقة أكثر من الآخرين الذين قد يتساوون معه في مواهب ما زالت كامنه.

لما نور الذي تقوم به عمليات ما قبل الشعور في عملية إنتاج الأفكار الأصيلة يتوقف على حريتها في تجمع الأفكار، ومقارنتها ثم إعادة تصنيفها. ويرى كوبي أن لكل من عمليات الشعور وللشعور تعمل بطريقة ما على تجميد عملية ما قبل الشعور، وبذلك يحول الفرد ذا الموهبة للكامنة إلى فرد غير خلاق. بينما يكون في استطاعة ما قبل الشعور أن يصير شعورياً بسهولة تحت ظروف كثيراً ما تنشأ، فإن مثل هذا التحول صعب في حالة للشعور، ويمكن حدوثه فقط ببذل طاقة هائلة وقد لا يحدث أبداً.

ويفرض الجمود على التفكير حينما تسود العمليات الشعورية عند أحد طرفي النقيض، بناء على حقيقة أن الوظائف الشعورية الرمزية قد تثبت بواسطة علاقتها الواقعية الدقيقة بوحدات ذهنية وإدراكية خاصة وحيث تسود العمليات للشعورية عند الطرف الآخر، نجد تثبيتها أكثر صلابة، إلا أنه في هذه الحالة يكون تثبيتها بالترتيب أو اللواقعية، أي بتلك الصراعات غير المقبولة والأشياء والأهداف والدوافع التي صارت في غير متناول كل من التأمل الشعوري والتأثير المعدل للخبرة.

لذا يرى كوبي أن كثير من الأخطاء ارتكبت عندما افترض أن للشعور هو منبع دوافع الإبداع ومصدر الإلهام العظيم في حياة البشرية. ومثال ذلك للتصور بأن الإنتاج الإبداعي ينبع فقط من للشعور، وأن العقري المبدع لابد أن يكون مريضاً أو شاذاً.

المقياس: تقوم فكرة تصميم مقياس الأصالة في الأصل كما أشار إلى ذلك هولاند وبايرد Holland and Baird (1968) على ما وصفه كوبي Kubie (1958) من أن منطقة ما قبل الشعور تكون فيها الأفكار والمفاهيم جرة ومنطقة من ترابطاتها لتعادية، ومن ثم تستطيع الانطلاق والتحرر والتجديد في طرق جديدة وأصيلة. ويتكون المقياس من (38) عبارة، وتكون الاستجابة على تلك العبارات بنعم أو لا. وقد قامت للسوقي (1987) بترجمة المقياس إلى اللغة العربية.

الصدق: تم إيجاد صدق للمفهوم لمقياس الأصالة وذلك من خلال تطبيقه مع مجموعة من المقاييس النفسية (Holland and Baird, 1968)، كما تم حساب صدقه التلازمي عن طريق تطبيقه مع مقياس التعتد لقياس الأصالة من إعداد بارون على عينة مكونة من سبعين طالباً وخمسين طالبة بالجامعة، فبلغت معاملات الارتباط بين المقياسين (0,60) لعينة الذكور، و(0,78) لعينة الإناث، وهي معاملات دالة إحصائية عند مستوى 0,01 (موسى والسوقي، 1988).

الثبات: تم حساب ثبات مقياس الأصالة في العديد من البحوث الأجنبية (Abe, et al., 1965; Nichols and Holland, 1963)، كما تم حساب ثبات المقياس بطريقة إعادة الاختبار فبلغ (0,79) لعينة للذكور، و(0,72) لعينة الإناث (موسى، والسوقي، 1988).

لا	نعم	العبارة
()	()	أحب أن أكون مخترعاً
()	()	أحل المشاكل العقلية عن طريق التفكير المنطقي الواعي
()	()	أفضل أن أكون أخصائياً نفسياً تجريبياً من أن أكون أخصائياً نفسياً إكلينيكياً
()	()	إذا كانت لدى الموهبة للضرورة، فسوف أستمع بأن أكون نحاساً
()	()	أستمع بالمشكلات التي أستطيع الحصول على حلول دقيقة لها
()	()	أفضل أن أكون كاتباً من أن أكون صاحب شركة استثمارية
()	()	أفضل أن أكون شخصاً واقعياً من أن أكون شخصاً خيالياً
()	()	يعتقد أصدقائي أنني شخص موضوعي من أن أكون شخصاً انفعالياً
()	()	أبدأ المشروعات عن طريق الاستفراق في أحلام اليقظة عن كيفية تنفيذها
()	()	يعتبرني أصدقائي شارد للذهن إلى حد ما
()	()	أكون أكثر واقعياً من أن أكون أكثر مثالياً
()	()	غالباً ما أعمل دون تفكير

